موسوعة تاريخ مصر

العصر الذهبى

إعداد: هشام الجبالي



مرحبا باصدقائى فى كل بقعة من أرض مصر.

أسمى **«نيل»** وُجدّت منذ أن شق النهر مجراه فى أرضنا فجلب لها الخصب والنماء، عشت كل هذه القرون بينكم أصاحب أجدادكم القدماء فى رحلات البناء الطويلة، وأرافق أباءكم فى مسيرة العمل من أجل رقى مصر وتقدمها، أشاركهم أحزانهم وأأسى لهزائمهم، أسعد بإنجازاتهم وأشيد بانتصاراتهم، أعشق كل ماهو مصرى فأطوف بأرجاء البلاد شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، أبحث عن كل جديد، عن كل بناء وتقدم، أقضى النهار أحث أبناءها على بذل المزيد من الجهد، وأمسى لأحلم لها بغد أكثر إشراقا ومستقبلا يملأه الرقى والتحضر، أعتدت أن أصاحب الشيخ كثير النشاط والحركة **«تاريخ»** كلما جاء لزيارة أرضنا، أقص عليه أخبارها وأقدم له المساعدة ليسجل لها فى أوراقه جهد أبنائها وشموخ حضارتها، لهذا ستجدونى معكم عبر حكايات **«تاريخ»** وحوادث مصر وأخبارها.



موسوعة تاريخ مصر

المحرر : هشام الجبالى

الرسوم الداخلية : علاء حجازى

هانى طه - إيهاب وصفى

المراجعة اللغوية : شوقى هيكل

الجمع التصويرى : المكتب العربى للمعارف

الإخراج : المكتب العربى للمعارف

رقم الإيداع : ٥٤٤١/١٩٩٤

الترقيم الدولى : I.S.B.N:977-276-018-5

موسوعة تاريخ مصر

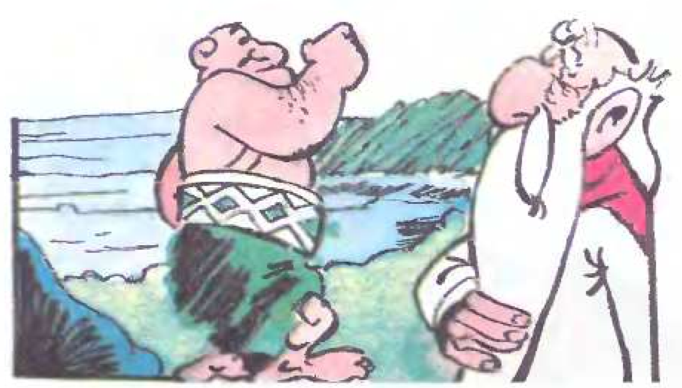
العصر الذهبى

إعـداد: هشـام الجبـالي



تَرَكْتُ مصرَ فى رحلتى السَّابِقَةِ عامَ ٢٢٨٠ قبلَ الميلادِ بعدَ رحيلِ فِرْعَوْنِهَا بيبِى الثانى وانتهاءِ حكمِ الأسرةِ السادسةِ بكارثةٍ أصابَتْ كلَّ ألوانِ الحياةِ على أرضِهَا بالعجزِ والفَوْضَى، تركتُها بعدَما رأيتُ كيفَ أمستْ دولةُ الفراعنةِ العظامِ التى كانت تسمُو بينَ أممِ الأرضِ بحسنِ الإدارةِ ودقَّةِ التنظيمِ، أرضًا لا نظامَ فيها.. تقودُها الفوضَى إلى المزيدِ والمزيدِ من الضعفِ والتَّدَهْوُرِ، تلك الأرضُ التى كانتْ يومًا دولةً لبُنَاةِ الأهراماتِ الأقوياءِ المَهَرَةِ صارتْ لا تَجِدُ من يدافعُ عن مُدُنِهَا حينما أغارتْ عليها قبائلُ الجنوبِ وبَدْوُ الغَرْبِ والشرقِ الرُّحَّلُ ينتزعُون منها ماتبقَّى من تراثِهَا القديمِ، فقد كان حُكَّامُ المقاطعاتِ قد انشغلُوا بالاستقلالِ بمقاطعاتِهِمْ والسيطرةِ عليها، وخَوْضِ الحُرُوبِ فيما بَيْنَهُمْ، كلٌّ منهم يَسْعَى للفوزِ بما يجاورُه من مُدُنٍ ومقاطعاتٍ، بينما اجتمعَ على العرشِ فى مَنْفَ سبعون رجلاً من كبارِ رجالِ الدولةِ يحاولُون السيطرةَ على عاصمةِ البلادِ لاستردادِ شىءٍ من هيبةِ الحكمِ وقوَّتِه، ولكنَّ الأحداثَ التى تَجْرِى فى سرعةٍ مذهلةٍ على طولِ الدلتا والوادى كانت تُنْبِىءُ بضياعِ وَحْدَةِ هذه البلادِ وتُنْذِرُ دولةَ الفراعنةِ بعُهُودٍ طويلةٍ من الضعفِ والفُرْقَةِ.

رحلتُ عن مصرَ وأنا أشعرُ بالحزنِ لما يجرى فى يومِهَا الحاضرِ، والفزعِ ممَّا يحملُه لها الغدُ القريبُ، لأسجِّلَ فى أوراقى أنه كما كانت الوحدةُ سَبَبًا لنَهْضَتِهَا وازدهارِ حضارتِهَا ستكون الفُرْقَةُ دونَ شكٍّ سببًا لانهيارِ تلك النهضةِ وسقوطِ هذه الحضارةِ، وهكذا رحتُ أتجوَّلُ بين أوطانِ الأرضِ، أَطُوفُ بمُدُنِهَا وأسجِّلُ أعمالَهَا، يمرُّ بى اليومُ بعدَ اليومِ والعامُ بعد الآخرِ فأقتربُ من مصرَ حينا وأبتعدُ عنها أحيانًا، ولكننى فى جميعِ الأحيانِ لم أَكُنْ أعلمُ الكثيرَ من أخبارِهَا حتى كان يَوْمٌ من أيامِ عامِ ١٨٠٠ قبلَ الميلادِ وكنتُ أتنقَّلُ بين جُزُرِ البحرِ المتوسط

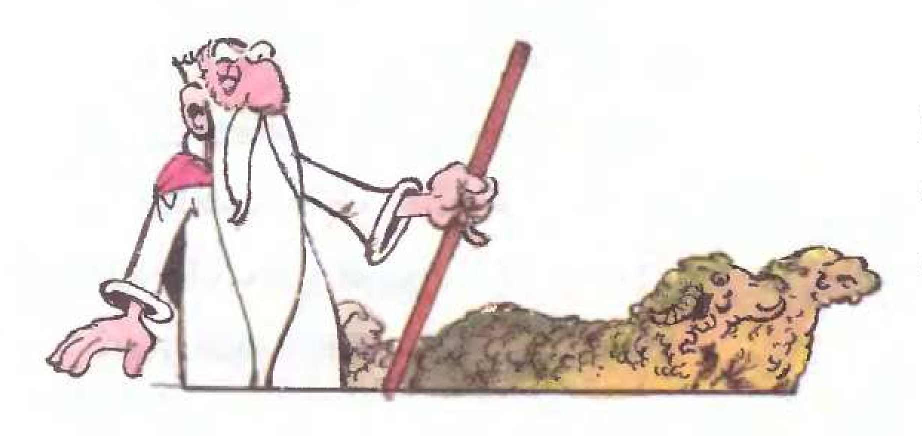


حـينَهـا قَصّ علىّ سكّانُ هذه الجُزُرِ عن ذلك الأسطولِ المصرىّ الذى اعـتـادَ قطعَ المسـافـاتِ الطويلةِ للوصـولِ إليـهم وممارسةَ أعمالِ التجارةِ معهم، وعلى الرَّغْمِ من قلَّةِ مـاتجـمَّعَ لدىَّ من أخـبـارِ هذا الأسطولِ، إلاَّ أنه لم يَكُنْ من العـسيـرِ علىَّ أن أُدْرِكَ مـايَعْنِيـهِ إرسالُ مِثْلِ هذا الأسطـولِ إلى مـثـلِ هذه المناطـقِ البـعـيدةِ، فـقـد كان ذلك دليلاً واضحًا على مـا أصـبحَتْ تتـمتَّعُ به مصـرُ من قُوَّةٍ وثَرَاءٍ، فـلابُدَّ وأنـها قـد استطاعت أن تستـردَّ الكثـير من المجـدِ والازدهـارِ القديمِ بعد مرورِ كلِّ هذه الأعوامِ، ولكن كـيفَ تحـقَّقَ لهـا ذلك على الرَّغْمِ مما أصـابَهَا من تمزُّقٍ وضَعْفٍ؟ وهل يكونُ ذلك الـثـراءُ وهذه القـوةُ نتـيـجـةً لاتِّحَادٍ جديدٍ بعدَ انقسامِ مقاطعاتِ مصـرَ وتَفَرُّقِهَا؟ ومَنْ تُرَاهُ ذلك الذى اسـتطاعَ تحـقـيقَ هذا الاتحـادِ؟ ومـتى وكـيف اسـتطاع تحقيقَه؟



ولم يكن أمـامى مع كلِّ هذه الأسـئلةِ التى لم أَجِدْ لهـا جَوَابًا إلاَّ أن أتـوجَّهَ مـن فَوْرِى إلـى أرضِ مـصـرَ أحـملُ الكثـيرَ من الأملِ فى أن أراها فى صورةٍ مختلفةٍ

عـمَّا كـانت عليـه يوم رحيلى عنها، والكثيرَ من الاسـتـفسـاراتِ التى لن يُقَدِّمَ لى الإجـابةَ عليـهـا سِوَى ذلك الفَتَى نيل.



ومن الشـاطىءِ الشـمـالىِّ بدأتُ رحلتى إلى مـصـرَ، فكان علىَّ أوَّلاً أن أَسْعَى إلى مُلاَقَاةِ نيلٍ قـبلَ أن أقـومَ بأىِّ عـملٍ آخرَ، لذلك رُحْتُ أتجـوَّلُ بين مُدُنِ الدلتـا باحـثًا عنه دُونَ توقُّفٍ تصـافحُ عَيْنَاىَ صُوَرَ الْحَيَاةِ فى هذه المدنِ التى أشـرقَتْ فـى جنبـاتِهَا حـضـارةُ مصرَ وازدهـارُهَا من جديدٍ، كلُّ شىءٍ فيـهـا يسيرُ فى دقَّةٍ ونظامٍ، حـركـةُ الأسـواقِ، أعـمـالُ الصـيـدِ والزراعـةِ، وهذه الصناعـاتُ المخـتلفـةُ التى امـتلأتْ بها المدنُ فـملأتْهَا عمـلاً وحـيـاةً، كلُّ شىءٍ أمـامى يُخْبِرُنِى بالتـقـدُّمِ والثـراءِ، الأسـواقُ تَضِجُّ بالبضائعِ والبيعِ والشراءِ، الأرضُ تمتدُّ بساطًا أخضرَ ترصِّعُهُ الحبوبُ والثمارُ، والرعـاةُ يسـوقـون أغنامَهُمْ فى بِشْرٍ وأمانٍ.

مـضـيتُ أرى كلَّ ذلك ويزيدُنى مـا أَرَى شَوْقًا إلى معرفـةِ مـاحدَثَ لمصـرَ خلالَ الأعوامِ الماضيـةِ حتى تجاوزتُ أرضَ الدلتـا مـقـتـربًا من مـدينةِ إثْ تَاوِى(١) العاصمةِ حيثُ يقيمُ نيلٌ، فلم تَعُدْ مَنْفُ عاصمـةً للبلادِ بَعْدَمَا اختارَ فراعنةُ مصرَ هذه المدينةَ الواقعةَ على بُعْدِ خـمـسـةٍ وثلاثين كيلومـترًا جنوبَ غَرْبِىِّ مَنْفَ عـاصمـةً لدولتِهِمْ، وفى إثْ تَاوِى رأيتُ مَنْفَ جـديدةً جَمَعَتْ بين ماكانت تتمتَّعُ به العاصمةُ القديمةُ من بهاءِ الحُكْمِ المتمثِّلِ فى قَصْرِ الفِرْعَوْنِ وإداراتِ حكومَتِهِ وبين التطوُّرِ الظاهرِ فى طرقاتِهَا الممتدةِ وأسواقِهَا المتسعَةِ ومـعـابدِهَا ودُورِهَا الفسـيحةِ، وبَعْدَمَا

---

(١) مدينة اللشت حاليا .

قضيتُ ساعاتٍ طوالاً أبحثُ عن ذلك الفَتَى فى طُرُقَاتِ المدينةِ دُونَ جَدْوَى، وبينما كنتُ أسيرُ لا أدرى ماذا أَفْعَلُ؟ إذا بصوتٍ يأتى من خَلْفِى مناديًا، وحينما تَلَفَّتُّ إلى مصدرِ ذلك الصوتِ رأيتُ نيلاً يُسْرِعُ ناحيتى قائلاً: مرحبًا بِكَ يا أَبَتِى! لقد تأخرتَ علينا كثيرًا هذه المرَّةَ!

فقلتُ له : أين تُرَاكَ كنتَ يانيلُ؟ إننى لم أَتْرُكَ مَوْضِعًا فى هذه المدينةِ لم أَبْحَثْ فيه عَنْكَ!

فَقَالَ : لقد كنتُ أُتَابِعُ بَدْءَ العملِ فى معبدِ الفِرْعَوْنِ، وهو معبدٌ ضخمٌ رائعٌ لابُدَّ وأن تَرَى كيف يَتِمُّ بِناؤُهُ، كما أن هناك الكثيرَ الذى شَيَّدَتْهُ أيدى المصريين طَوَالَ عشراتِ الأعوامِ الماضيةِ لابدَّ وأن تراه لتسجِّلَ لمن شَيَّدَهُ دقَّةَ العملِ وروعةَ البناءِ.

فقلتُ له : دَعْكَ من هذا الآنَ، فهناك مايَجِبُ أن تُحَدِّثَنِى عنه أوَّلاً.

فَقَالَ : لديك كلُّ الحقِّ، لقد مرَّتْ بِلادُنا بحوادثَ هامَّةٍ مختلفةٍ يحتاجُ قَصُّهَا عليك إلى وقتٍ طويلٍ.

وفى منزلٍ صغيرٍ تتناثرُ على قِطَعِ أثاثِهِ القليلةِ أوراقُ الْبَرْدِى، جلستُ أمامَ نيلٍ الذى بادرنى قائلاً: حسنًا يا أبتى! من أين تُحِبُّ أن نَبْدَأَ الحديثَ؟

فقلتُ له : لِنَبْدَأْ من حيثُ البدايةُ، منذُ ذلك اليومِ الذى رحلتُ فيه عن بلادِكُمْ .

فقال : لقد رحلتَ عنَّا فى وقتٍ كانت فيه البلادُ تمتلىءُ بالحروبِ والفَوْضَى، بينما كبارُ رجالِ الدولةِ فى مَنْفَ يُسْلِمُونَ الْحُكْمَ إلى ملوكِ الأسرةِ الثامنةِ، بعدما مرَّ على تَوَلِّيهِمْ شئونَ مصرَ مايقربُ من سبعين يومًا فقط جلَسَ بعدَها على العرشِ ملوكُ الأسرةِ الثامنةِ طَوَالَ ثمانيةٍ وثلاثين عامًا، واحدًا من بَعْدِ الآخرِ وقد أطلقُوا على أنفسِهِمْ أسماءَ الفراعنةِ السابقين فكان منهم دُدُفْ رع وبيبى ونِفِرْكَارِعْ، إلا أنهم لم يتمتَّعُوا بأىِّ مظهرٍ من مظاهرِ قوةِ الفراعنةِ حيثُ لم تتعدَّ سيطرتُهُمْ حدودَ العاصمةِ وقبلَ أن

يسقطَ حكمُ الأسرةِ الثامنةِ فى مَنْفَ كان حُكّامُ المقاطعةِ العشرين من مقاطعاتِ الوجهِ القبليِّ قد استطاعُوا السيطرةَ على مايُجَاوِرُهُمْ من مقاطعاتٍ حتى شمل نفوذُهم جميعَ مقاطعاتِ الوادِى، فأعلُنوا أنفسَهُمْ حُكّامًا على مصرَ وملوكًا للأسرة التاسعة، مُتَّخِذِينَ من مدينةِ إهْنَاسْيَا (١) عاصمةً لملكِهِمْ.

فقلتُ له : وبعد سُقُوطِ الأسرةِ الثامنةِ هل استطاعَ ملوكُ الأسرةِ التاسعةِ فى إهْنَاسْيَا السيطرةَ على مقاطعاتِ الدلتا لإعادةِ وَحْدَةِ البلادِ من جديدٍ؟

فقالَ : ظلَّ ملوكُ الأسرةِ التاسعةِ فى الحكمِ حَوالَىْ مِائَةِ عامٍ لم تمتدَّ سيطرتُهم خلالَها إلى مقاطعاتِ مصرَ الواقعةِ شمالَىْ مَنْفَ، فقد اكتفَى هؤلاءِ الملوكُ ومَنْ تَبِعَهُمْ على العرشِ فى إهناسيا من ملوكِ الأسرةِ العاشرةِ بما تحتَ أيديهِمْ تَارِكِينْ مقاطعاتِ الدلتا بين تنازُعِ حُكّامِهَا وهجماتِ بَدْوِ الشرقِ والغربِ، وفى ظلِّ ضعفِ هؤلاءِ الملوكِ وعدمِ قدرتِهِمْ على تخليصِ البلادِ من التمزُّقِ والتنازعِ، كان أمراءُ طِيبَةَ(٢) يُعِدُّونَ أنفسَهُمْ لقيادَةِ البلادِ نحوَ الاتِّحَادِ، وكانت البدايةُ هى إعلانَ حاكمِ طيبةَ أُنْتُفْ الأول تأسيسَ أسرةٍ حاكمةٍ جديدةٍ تضمُّ الأربعَ مقاطعاتٍ الجنوبيةَ من مقاطعاتِ الوادى، فكان على هذا الحاكمِ بعد إعلانِ انفصالهِ عن مملكة إهناسيا خَوْضُ طريقٍ طويلٍ شاقٍّ من الحروبِ والمعاركِ مع حُكّامِهَا ليواصلَ خلفاؤُهُ أُنْتُفْ الثانى ومِنْتُوحُتُبْ الأولُ وأُنْتُفْ الثالثُ القتالَ حتى استطاعَ مِنْتُوحُتُبْ الثانى خامسُ ملوكِ الأسرةِ الحاديةَ عَشَرَةَ إحرازَ الانتصارِ النهائيِّ على المملكةِ الإهناسيَّةِ فى العامِ التاسعِ من وِلاَيَتِهِ، ومع انتقالِ عاصمةِ البلادِ إلى طِيبَةَ بَدَأَ مِنْتُوحُتُبْ الثانى طَرِيقًا جديدًا من الكفاحِ المتواصلِ طَوَالَ أعوامِ حُكْمِهِ التى بَلَغَتْ الواحدَ والخمسين عامًا حتى كُتِبَ

---

(١) غرب مدينة بنى سويف .

(٢) الأقصر حالياً .



مجموعة من أشهر تيجان أعمدة المعابد الفرعونية

له النجاحُ فى إعادةِ الوحدةِ بين مقاطعاتِ مصرَ من جديدٍ.

فقلتُ له : وهكذا كما كان الجنوبُ سببًا فى اتحادِ الدلتا والوادى على يدِ فِرْعَوْنِهَا مينَا، كان سببًا فى خُرُوجِهَا من الفَوْضَى التى تَبِعَتْ سقوطَ الأسرةِ السادسةِ على يدِ الفرعونِ مِنْتُوحُتُبْ الثانى.

فَقَالَ : حَقًّا لقد كان مِنْتُوحُتُبْ الثانى محاربًا صلْبًا عَنِيدًا خَاضَ من أجل البلاد الكثيرَ والكثيرَ من الحروبِ ليُعيدَ لها وحدَتَهَا ويُمَهِّدَ السبيلَ إلى نهضةِ مُدُنِهَا وتقدُّمِ شعوبِهَا، وعلى الرغمِ من انشغالِه بكلِّ ما خَاضَه من حروبٍ إلاَّ أنه قد شَيَّدَ لنفسِه مقبرةً عظيمةً..

فقاطعتُه قائلاً : أَتُرَاهُ قد شيَّدَ لنفسِهِ هرمًا عظيمًا كفراعنةِ الأسرتَيْنِ الثالثةِ والرابعة؟

فَقَالَ : لقد شيَّدَ ملوكُ طيبةَ مقابرَهُمْ على الضفَّةِ الغربيَّةِ للنهرِ، ولكنها كانت لانشغالِهِم الدائمِ بالحروبِ مقابرَ متواضعةً يعلو كلٌّ منها هرمًا صغيرًا، إلاَّ أنَّ مقبرةَ مِنْتُوحُتِبْ الثانى قد تميَّزَتْ عما سَبَقَهَا من مقابرِ ملوكِ الأسرةِ الحاديةَ عشرةَ بالاتِّساعِ ودقَّةِ

التصميم والبناء، فقد اجتهدَ مهندسُو طِيبَةَ فى نَحْتِ مقبرَتِه ومعبَدِه الجنائزىِّ فى قلبِ صخورِ المنطقةِ ببراعةٍ وجهدٍ كبيرَيْنِ حتى ظهر البناءُ بأعمدَتِه وأَرْوقَتِه وتماثِيلِه وكأنه قطعةٌ من الطبيعة تحتضِنُها الصخورُ وتُحيطُ بها الرمالُ.

فقلتُ له : وهل كانت هذه المقبرةُ من الأبنيةِ التى كنتَ تريدُنى أن أراها؟

فقال : أَجَلْ هى أولُ الأبنيةِ التي كنتُ سأصاحِبُكَ إلى مشاهدَتِهَا.

فقلت له : حسنًا، لا يجبُ أن نضيِّعَ الوقتَ إذن، لنذهبْ إلى طِيبَةَ حيث يُوجَدُ هذا البناءُ، بينما يمكنُنَا استكمالُ حديثِنَا فى الطريقِ إليها.

فراح نيلٌ يتمددُ على فِرَاشِه قائلاً : لقد أَوْشَكَ اللَّيْلُ أن يَنْتَصِفَ، كما أنني لم أَنَلْ شيئًا من الراحةِ طَوَالَ الأيامِ الثلاثةِ التى قَضَيْتُهَا متابِعًا للعملِ فى معبدِ الفرعونِ، دَعْنَا نسترِحْ الليلةَ على أن نبدأَ رحلَتَنا إلى طِيبَةَ عندَ الصباحِ.

وعلى ظَهْرِ إحدى سفنِ النهرِ المتَّجِهَةِ صَوْبَ الجنوبِ جَلَسْنَا لنُكْمِلَ ما انقطعَ من حديثِ الأمسِ، ولكن بصرى كان قد تعلَّقَ بأحدِ المصريِّينَ وقد راح يَصِفُ أمامَنَا الكثيرَ من التماثيلِ الخشبيَّةِ الملوَّنَةِ التى ماكِدْتُ أُدقِّقُ فيها النظرَ حتى وجدتُ نفسِى أنهضُ إليها لأتأمَّلَهَا عن قُرْبٍ، فإذا بها مجموعةٌ كبيرةٌ من النماذجِ الخشبيَّةِ المصغَّرَةِ التى تمثِّلُ صورَ الحياةِ التي يحياها واحدٌ من عظماءِ مصرَ، فهذا نموذجٌ رائعٌ يمثِّلُ ذلك الرجلَ جالسًا أمامَ منزلِه يتابعُ إحصاءَ ما يمتلِكُهُ من



المـــــاشيَة، يحيطُ به عددٌ من العـاملين لديـهوقـــد انشـــغلوا بتَدْوينِ أعداد مـــايمرُّ أمــامَهمن الأبـقــــارِ والثيرانِ التي



نموذج إحصاء الماشية

يسوقُها الرعاة، صنع كلَّ ذلك من قِطَعِ الأخشابِ الملوَّنَةِ فى مهارةٍ جَعَلَتْ هذه التماثيلَ الصغيرةَ بألوانِهَا الزاهيةِ وحركاتِهَا الصادقَةِ تَنْطِقُ بالحياة، وهذا نموذجٌ آخرُ يصوِّرُ مراحلَ صناعةِ الخُبْزِ فى المنزلِ المصرىِّ، فهناك من يقومُ بطَحْنِ الغلاَلِ، وهناك مَنْ يُحَوِّلُ الطَّحِينَ إلى خُبْزٍ وفَطَائِرَ مختلفةٍ بإنضَاجِهِ داخلَ الأفرانِ بعدما يتمُّ تقطيعُه وتشكيلُه، ونموذجٌ ثالثٌ يصوِّرُ كيف تَتِمُّ صناعةُ النسيجِ، ورابعٌ يمثِّلُ عمليَّاتِ صناعةِ الأثاثِ، وغيرُ ذلك الكثيرُ من نماذجِ السفنِ النهريَّةِ بأشرعَتِهَا وبَحَّارَتِهَا وقَوَارِبِ صيدِ الطيورِ والأسماكِ بمجاديفِهَا وشبَاكِها.

وبعد ما توقَّفْتُ طويلاً بين هذه التماثيلِ تلفَّتُّ إلى ذلك المصرىِّ الذى كان قد فرغَ من صَفِّهَا علي سَطْحِ السفينةِ قائلاً : إلى أين تذهبُ بكلِّ هذه النماذجِ الخشبيةِ؟

فقال : أنا ذاهبٌ بها إلى الجنوبِ، فقد صنعَها فنَّانو العاصمةِ لحاكم أُونُو.

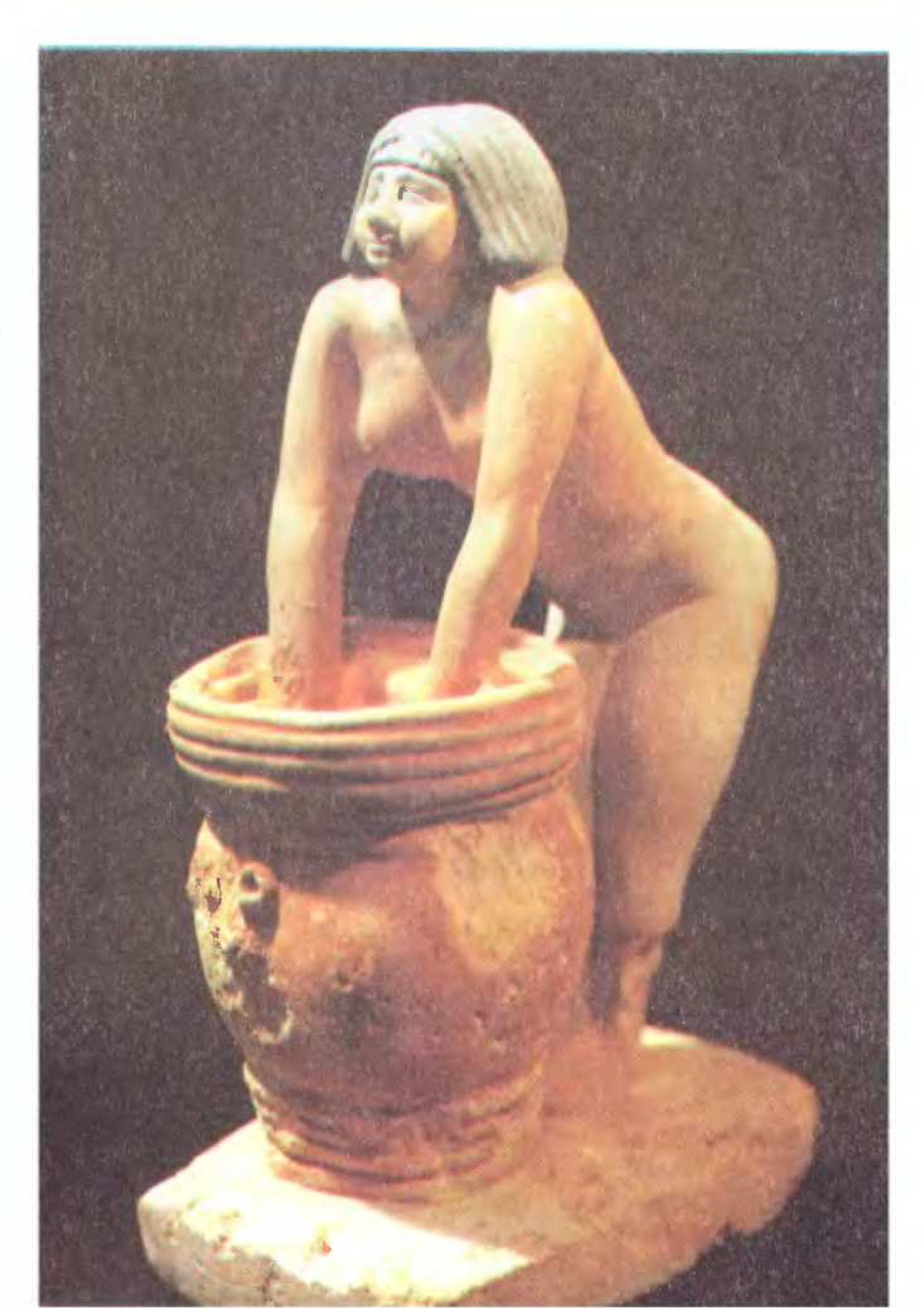
فقلتُ له : وما أُونُو هَذِه؟

المقاطعةِ إلى كلِّ هذه القِطَعِ الخشبيّةِ؟

فقال : لقد صُنِعَتْ لتُوضَعَ داخلَ سراديبِ مقبَرَتِهِ التى يُعِدُّهَا فى أُونُو.

فقلت له : أعلمُ أنكم تعتقدُونَ أن حياتَكُمْ بعدَ الموتِ ستكونُ صورةً من حياتِكِمْ فى الدنيا، لذلك كان آباؤُكُمْ وأجدادُكم يصنعون تماثيلَ حجريةً صغيرةً لمن يقوموا بخدمتِهِمْ، يضعُونَهَا فى مقابرِهِمْ لكى يقدِّمُوا لهم الخدماتِ فى الحياةِ الآخرة.

فقال : ولنفسِ السببِ نصنعُ هذه



تمثال حجرى يمثل إحدى المصريات تقوم بعملية العجن

فقال : إنها المقاطعةُ الخامسةَ عشرةَ من مقاطعاتِ الوادى.

فقلتُ له : ولماذا يحتاجُ حاكمُ



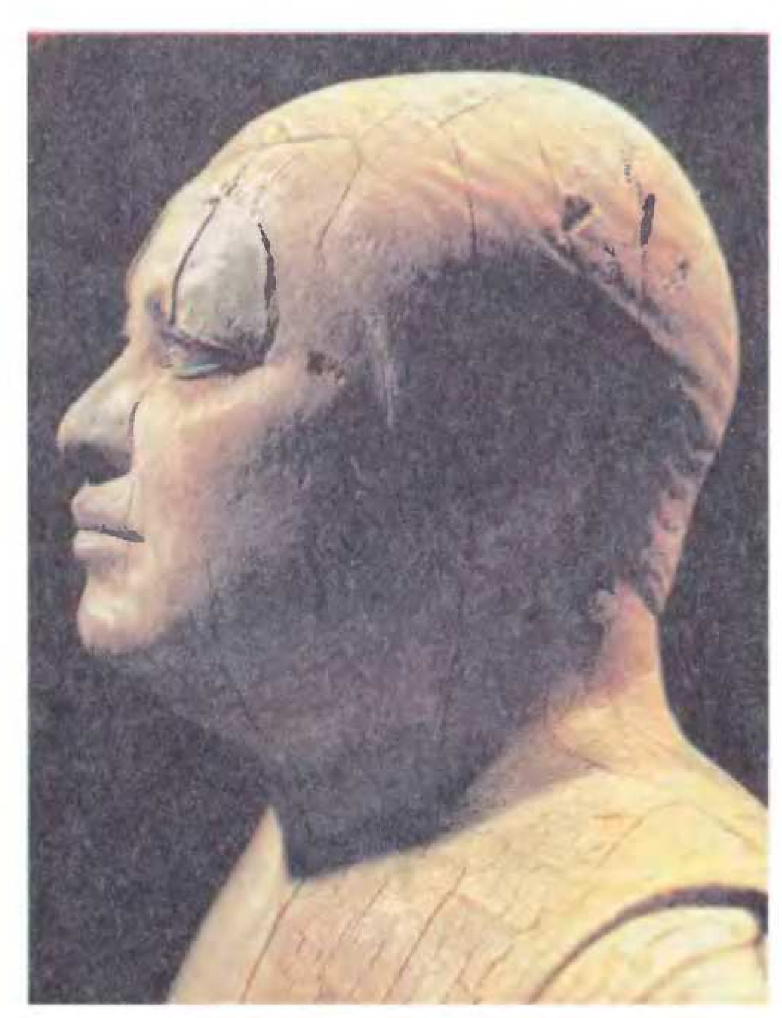
نموذج صيد الأسماك بواسطة الشباك

التماثيلَ وتلك النماذجَ وإن كنَّا اليومَ نقومُ بنَحْتِهَا فى أنواعِ الأخشابِ المختلفةِ، فهذا لأنه قد توفَّرَ لدينا الكثيرُ من الأخشابِ التى تُجْلَبُ من غاباتِ لُبْنَانَ وسوريًّا، كما أنَّ نَحْتَ الأخشابِ وتلوينَها لا يتطلَّبُ نفسَ الجُهْدِ الذى يتطلَّبُهُ نحتُ الأحجارِ.

فقلتُ له : قد رأيتُ آباءَكم يحرصُونَ على صناعةِ الكثيرِ من هذه التماثيلِ، ولكننى لم أرَ قطُّ أحدًا يصنعُ لنفسهِ كلَّ هذه المجموعةِ الكبيرةِ!

فقال : لقد صُنِعَتْ هذه التماثيلُ لواحدٍ من حكَّامِ المقاطعاتِ الذين يتمتَّعُونَ بثرواتٍ كبيرةٍ، ويعيشُونَ حياةَ الرفاهيةِ والثراءِ، كما أن عددَ هذه التماثيلِ قد زادَ اليومَ عمَّا كان عليه فى الماضى زيادةً كبيرةً ممَّا جعلَنا نتوسَّعُ فى استعمالِ سراديبِ المقابرِ، فعلى الرغمِ من أن آباءَنا كانوا يستعملُونَ هذه السراديبَ لوضعِ تماثيلِهِمْ وتماثيلِ مَنْ كانَ يقومُ بخدمَتِهِمْ، إلاَّ أننا قد أكثرْنَا من استعمالِهَا حتى أننا





تمثال من الخشب الملون والمطعم بالنحاس والبلّور

نصنعُ سراديبَ خاصةً لوضعِ تماثيلِ أصحابِ الحِرَفِ والصناعاتِ، التى تقومُ بخدمةِ المتوَفَّى فى حياتِهِ الآخرة.

فقلتُ له : لقد استطاعَ آباؤُكُمْ نَحْتَ الكثيرِ من التماثيلِ فى دِقَّةٍ وإتقانٍ، فهل استطعتُمْ نحتَ تماثيلِكِمْ بنفسِ هذه الدِّقَّةِ وذلك الإتقانِ؟

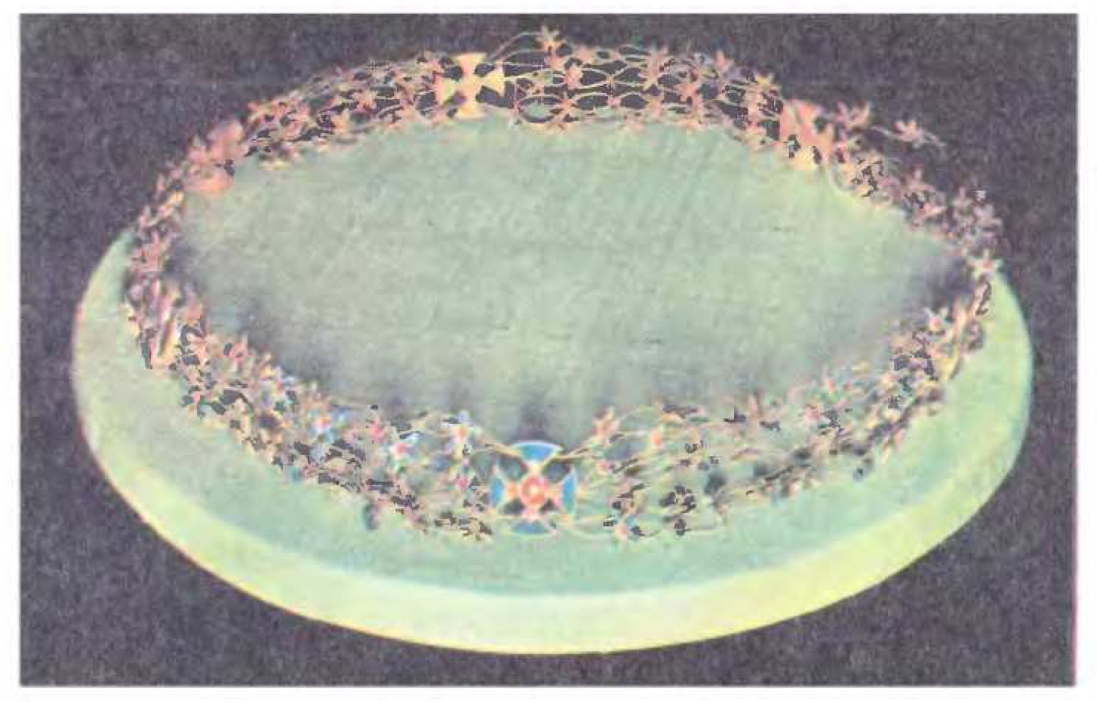
فقال : تركَ لنا فنَّانو مَنْفَ من التماثيلِ مايتميَّزُ بحسنِ العملِ وجلالِ المظهرِ، وقد فَصَلَتْنَا عنهم عهودٌ طويلةٌ من التخلُّفِ والفَوْضَى، حاولنا بعدَها أن ننهضَ من جديدٍ، حتى استطعنا اليومَ الوصولَ إلى نفسِ الدقةِ والإتقانِ الذى كان يعملُ به هؤلاء الفنانُون مع تميُّزِ تماثيلِنا بقوةِ التعبيرِ وصدقِهِ.

فقلتُ له : وماذا عن الفنونِ الأخرى التى كانت تنتشرُ فى منف؟

فقال : مارَسَ فنانُونا النقش بمهارةٍ فائقةٍ، فنقَشُوا صُوَرَهُمْ على صخورِ الجرانيتِ والحجرِ الجيرىِّ بما يشهدُ لهم بالإبداعِ والتفوُّقِ، كما ظَهَرَ لدينا الرسمُ الملَوَّنُ على جدرانِ المعابدِ والمقابرِ بصورةٍ تَفُوقُ التى كان عليها فى الماضى، فسجَّلَ الفنانُ المصرىُّ الكثيرَ والكثيرَ من صُوَرِ حياتِهِ اليوميةِ إلى أن احتلَّ الرسمُ الملوَّنُ هذه المكانةَ التى كان يحتلُّهَا النقشُ فى الماضى.

فقلتُ له : وهل تقدَّمَتْ لديكم صناعـاتُ الحُلىِّ والأثاثِ بنفسِ القـدرِ الذى تقـدَّمَتْ به فنونُ الرسمِ الملوَّنِ؟

فـقـال : نَعَمْ، فـقـد تقـدَّمَتْ لدينا كلُّ الصناعـاتِ الدقـيـقـة، فصنعنا الأوانىَ الخزفيةَ ذاتَ اللَّوْنِ الأزرقِ وأوانـىَ الطعـام المرمـريَّةَ مـخـتلفـةَ الأشكالِ، واسـتـخـدمنا العـاجَ فى تطعيمِ الأثاثِ



تاج ذهبى لإحدى أميرات الأسرة الثانية عشرة



صناعة الأثاث «نقش جدارى - سقارة»

بأشكالٍ جديدةٍ مبتكَرَةٍ، وقُمْنَا بتطويرِ الصناعات المعدنيَّة، فانتشرتْ صناعاتُ النُّحَاسِ وشُكِّلَتْ منه المقابضُ والمرايا المصقولةُ، ويبقَى أروعُ ما يمكنُكَ مشاهَدَتُهُ على أرضِ مصرَ من الصناعاتِ وهو هذه المشغولاتُ الذهبيةُ المرصَّعَةُ بالأحجارِ الكريمةِ من القلائد والأكاليلِ.

وطال حديثي مع ذلك الرجل المصريِّ وهو يحدِّثُني عن نهضةِ الفنونِ في بلادِهِ بعدَ كلِّ مامرَّ بها من عهودِ الضعفِ والتدهورِ بفضلِ عنايةِ فراعنةِ مصرَ الجددِ بحضارةِ البلادِ وفنونِهَا، حتى إذا مَا انْتَهَى حديثي معه توجَّهْتُ إلى نيلٍ الذي كان قد راح يتمتَّعُ بالنومِ العميقِ مَرَّةً أخرى على ظهرِ السفينةِ تحتَ أشعةِ الشمسِ، وكأنه لم يَذُقْ طعمًا للنومِ منذُ عِدَّةِ أعوامٍ لا بِضْعَةِ أيامٍ كما رَوَى لي!

ومن جديدٍ كان عليَّ أن أُخْرِجَ ذلك الفتى من نَوْمِهِ العميقِ لنكملَ مابدأناه من حديثِ الأمسِ، وبينما كان يحاولُ



أن يُفِيقَ من نَوْمِهِ بَادَرْتُهُ قائلاً: هيَا يانيلُ لتقصَّ عليَّ الآنَ ماقد حَدَثَ بعد أن أعادَ مَنْتُوحُتِبْ الثانى وحدةَ البلادِ.

فأخذ يُحَمْلِقُ فى وجهى، يحاولُ التغلُّبَ على النومِ قائلاً: تولَّى منتحوتب الثالثُ الحكمَ خَلَفًا للفرعونِ منتحوتب الثانى بعد أن اشتركَ معه فى المعاركِ التي خاضَهَا لتخليصِ البلدِ من التنازعِ والفرقةِ، فكان همُّهُ الأولُ طوالَ سنواتِ حكمِهِ هو متابعةَ القضاءِ على كلِّ مظاهرِ هذه الفرقةِ على أرضِ مصرَ ليُعيدَ إليها ما افتقدَتْهُ من الأمانِ والاستقرارِ الذى يساعدُ على الخروجِ

بها إلى حياةِ العملِ والتقدُّمِ والحضارَةِ، وحينما تحقق له استقرارُ الدلتا والوادى قامَ بالكثيرِ من الأعمالِ العظيمةِ كان أهمُّهَا تمهيدَ الطريقِ من مدينةِ قِفْطَ جنوبَىْ الوادى إلى البحرِ الأحمرِ لتسهيلِ عمليةِ التجارةِ مع بلادِ بُنْتَ، وبعدَ أن جلسَ منتوحتب الرابعُ على عرشِ الفراعنةِ ثلاثةَ أعوامٍ كآخرِ فراعنةِ الأسرةِ الحاديةَ عشرةَ، استطاع وزيرُه أمنمْحَاتُ الأولُ أن يفوزَ بالعرشِ لما تمتَّعَ به من قوةٍ وعزيمةٍ وكفاءةٍ مكَّنَتْهُ من حكمِ البلادِ بمقدرةٍ عظيمةٍ كأولِ فراعنةِ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ، هذه الأسرةُ هى التى نهضَتْ بالبلادِ إلى قمَّةِ الرُّقِىِّ والتحضُّرِ وجعلَتْهَا تعيشُ سنواتِ عصرِهَا الذهبىِّ.

فقلتُ له : وماذا فعلَ فراعنةُ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ لينهضُوا بالبلادِ ويحقِّقُوا لها ما أراه اليومَ من النظامِ والثراءِ والتحضرِ؟

فقال : إنها سلسلةٌ طويلةٌ من الجهدِ الشاقِّ والعملِ المتواصلِ بدأَهَا أمنمحاتُ الأولُ حينما أسَّسَ الأسرةَ الثانيةَ عشرةَ ونقلَ عاصمةَ البلادِ إلى مدينةِ إِثْ تَاوِى...

فقاطعتُه قائلاً : ولماذا لم يُبْقِ على طيبةَ عاصمةً للبلادِ؟

فقال : لم تكن البلادُ فى ذلك الوقتِ قد تخلَّصَتْ تماماً من الأسبابِ التي أدَّتْ فى الماضى إلى تنازُعِ مقاطعاتِهَا ولم يكُنْ من المقبولِ أن يَبْقَى الفرْعَوْنُ فى أقصَى الجنوبِ تَفْصِلُهُ عن مقاطعاتِ الشَّمَالِ مئَاتُ الكيلومتراتِ، لذلك اتَّخَذَ أمنمحاتُ الأولُ من هذه المدينةِ الواقعةِ ما بين الدلتا والوادى عاصمةً له مطلقًا عليها إِثْ تَاوِى أى التى تقومُ بمراقبةِ الأرضين.

فقلتُ له : إذا كان هذا هو مايريدُه، فلماذا لم يتَّخِذْ من منْفَ عاصمةَ الفراعنةِ العظامِ أو إهْنَاسْيَا عاصمةَ ملوكِ الأسرتين التاسعةِ والعاشرةِ عاصمةً له بدلاً من أن يقومَ بإنشاءِ مدينةٍ جديدةٍ؟



نموذج خشبي يمثل عمليات الغزل والنسج

فقال : رأى الفرعونُ أن يُقيمَ مدينةً جديدةً حتى يستطيعَ أن يشيِّدَ بين طرقاتِهَا جميعَ ما يرغبُ فى وجودِهِ من أبنيةٍ وإداراتٍ تحفظُ النظامَ وترْعَى شئونَ البلادِ، وعلى أيَّةِ حالٍ لم تكن إثْ تَاوِى بعيدةً عن تلك المنطقةِ التى تتوسَّطُ المسافةَ مابين الدلتا والوادى والتى حَرَصَ الفراعنةُ عَبْرَ عُصُورِهِمْ على أن يُقِيمُوا فيها عَوَاصِمَ مُلْكِهِمْ من مدينةِ عَيْنِ شَمْسٍ إلى مدينَتَىْ مَنْفَ وإهْنَاسْيَا.

فقلتُ له: حسنًا يانيلُ، لِنَعُدْ الآنَ إلى مواصلةِ الحديثِ عن فراعنةِ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ.

فقال : من إثْ تَاوِى انطلقَ مؤسِّسُ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ يبذلُ جهودَهُ المضنيَةَ فى سبيلِ نهوضِ بلادِهِ وتقدُّمِهَا، فشجَّعَ العملَ فى المحاجرِ والمناجمِ، وأظهرَ اعتناءً كبيرًا بالفنونِ والحرَفِ والصناعاتِ الدقيقةِ بعد أن قامَ بتأمينِ الحدودِ وإعادةِ بناءِ الحصونِ والقلاعِ شمالَ شرقَىْ شِبْهِ جزيرةِ سيناءَ، ليرحلَ فى العامِ التاسعِ والعشرينَ من وِلاَيَتِهِ تاركًا قيادَةَ مصرَ

إلى الفــرعــونِ سُنُوسِرْتِ الأولِ الذى كانت سنواتُ حُكْمِهِ صفحةً جديدةً من صفحاتِ الكفاحِ والتحضُّرِ تشهدُ له حروبُهُ فى الجنوبِ من أجلِ تثبيتِ الحدودِ عندَ نقطةٍ تبعُدُ نحوَ خمسةٍ وعشرين كيلومترًا جنوبَيْ وادى حَلْفَا بالقــوةِ والحــزمِ وحُسْنِ الإدارةِ طَوَالَ أربعةٍ وأربعين عامًا، عشرةٌ منها بجانبِ أمنمحاتِ الأولِ وثلاثةٌ أخرى بالاشتراكِ مع ولىِّ عهدِهِ أمنمحاتِ الثانى الذى جلسَ على عرشِ الفراعنةِ خمسةً وثلاثين عامًا كانتْ مصرُ خلالَها قد تنفَّسَتْ نَسَمَاتِ الرقىِّ وعبيرَ المدنيَّةِ من جديدٍ، فراحتْ تُكْثِرُ من إرسالِ بعثاتِهَا إلى المناجمِ والمحاجرِ لاستخراجِ مختلفِ أنواعِ المعادنِ وقَطْعِ الأحْجَارِ، وتُنَشِّطُ من رحلاتِ قوافلِهَا فى البرِّ وأساطيلِهَا فى البحرَيْنِ الأحمرِ والمتوسِّطِ لممارسةِ أعمالِ التجارةِ مع لبنانَ وسوريَا وبلادِ بُنْتَ، بل ومع الكثيرينَ من جُزُرِ البحرِ المتوسطِ أيضًا.

ويأتى سُنُوسِرْتُ الثانى ليُكْمِلَ مسيرةَ آبَائِهِ طَوَالَ أعوامِ حُكْمِهِ القصيرِ التى لم تتجاوَزْ التسعةَ عشرَ عامًا قبلَ أن يُسْلِمَ العرشَ إلى فِرْعَوْنِ مصرَ المحاربِ سنوسرت الثالثِ الذى



تمثال خشبى للملك سنوسرت الأول

رأى بَوَادِرَ الاضطرابِ والفَوْضَى تُطلُّ من حدودِ البلادِ الجنوبيةِ، فقادَ جيوشَهُ مخترقًا الأرضَ الإفريقيةَ حتى بلادِ بُنْتَ يُعيدُ إلى الحدودِ أمنَهَا واستقرارَها، وكما قام أمنمحاتُ الأولُ بتحصينِ حدودِ مصرَ الشماليَّةِ، قام سنُوسرْتُ الثالثُ ببناءِ مجموعةٍ عظيمةٍ من القلاعِ والحصونِ على طولِ حدودِهَا الجنوبيةِ، وهذه القلاعُ فى أَقْصَى الجنوبِ هى ثانى الأبنيةِ التى سأُرِيهَا لك بعدما ننتهى من مشاهدَةِ مقبرةٍ ومعبدِ مُنْتُوحُتُبْ الثانى...

فقاطعتُه وقد لاحظتُ شدَّةَ ميلِه إلى معاودَةِ النومِ قائلاً: لِنَنْتَه من الحديثِ أولاً، فأنا لن أقومَ بمشاهدةِ أيِّ شىءٍ قبلَ أن أَعْلَمَ منك كلَّ ما أُرِيدُ أن أَعْلَمَهُ.

فقالَ: لم يَعُدْ هُنَاكَ الكثيرُ من أخبارِ الفراعنةِ يا أَبَتِى، فقد خَلَفَ سنُوسرْتَ الثالثَ على عَرْشِ مصْرَ بعد حُكْمٍ دَامَ ثمانيةً وثلاثِينَ عامًا فرْعَوْنُنَا أَمِنْمحَاتُ الثالثُ منذُ ما يقرُبُ من واحدٍ وأربعين عامًا وإلى اليومِ، وكما تَرَى فقد تَابَعَتْ بلادُنا نهضتَهَا وواصلت الطريقَ إلى المزيدِ والمزيدِ من الرقىِّ والتحضُّرِ، فلم يكن أمنمحاتُ الثالثُ إلا واحدًا من ملوكِ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ، هؤلاءِ الفراعنةُ الذين أعادُوا لبلادِهِمْ المجدَ والرفعةَ والريادةَ، بعدما أعاد لها فراعنةُ الأسرةِ الحاديةَ عشرةَ الوحدةَ والاستقرارَ، وكما كان عهدُ سنوسرتِ الثالثِ عهدَ فتوحاتٍ وانتصاراتٍ، كان عهدُ أمنمحاتِ الثالثِ عهدَ رقىٍّ وإنجازٍ ازدهرَتْ فيه الفنونُ والصناعاتُ وأعمالُ التجارةِ والزراعةِ التى أَخَذَتْ من جهودِهِ الكثيرَ، وبخاصةٍ أعمالُه العظيمةُ فى إقليمِ الفَيُّومِ.

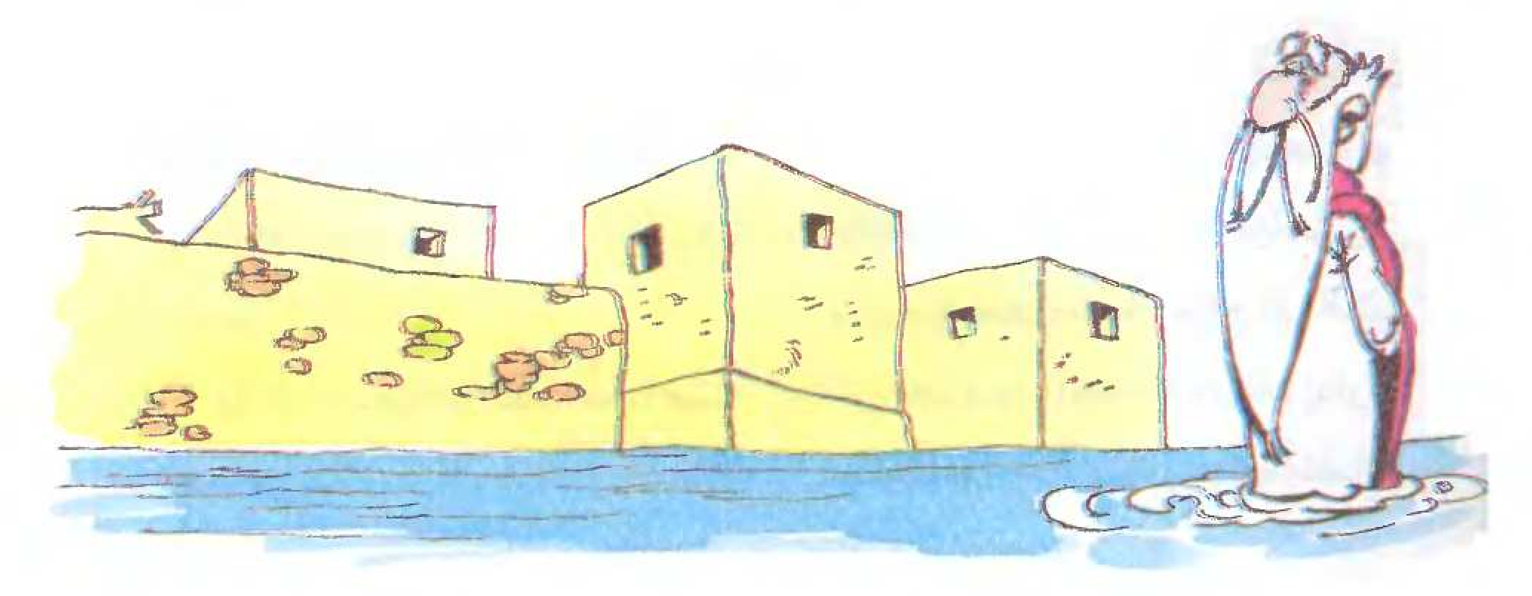
فقلتُ له: ماذا تَقْصِدُ بهذه الأعمالِ العظيمةِ فى إقليمِ الفَيُّومِ؟

فقال: كان إقليمُ الفيومِ إلى وقتٍ قريبٍ مجرَّدَ مساحةٍ متسعةٍ من الأرضِ المنخفضةِ الواقعةِ غَرْبِىْ النهرِ الذى يملؤُها بمائِهِ فى أوقاتِ الفيضانِ، حتى إذا ما انحسَرَ الفيضانُ أخذ النهرُ

يستردُّ جزءًا من المياهِ التى سبقَ وأن تجمَّعَتْ على أرضِ الإقليمِ المنخفضةِ مرَّةً أخرى، ليتبقّى الجزءُ الأكبرُ منها راكدًا دونَ الاستفادةِ منه يغطّى مساحةً عظيمةً من أخصبِ الأراضِى المصريَّةِ، لذلك حاولَ فراعنةُ مصرَ منذُ الأسرةِ الخامسةِ الاستفادةَ من أرضِ الإقليمِ الخصبةِ وكمياتِ المياهِ الهائلةِ المتجمِّعَةِ به، وحاولَ من بعْدِهِمْ أمنمحاتُ الأولُ تجفيفَ الجزءِ الأكبرِ من هذا الإقليم،



تمثال حجرى للملك أمنمحات الثالث



ولكنَّ جميعَ هذه المحاولات المتتابعة لم يُكْتَبْ لها النجاحُ التَّامُّ إلاَّ فى عهدِ الملك أمنمحات الثالث الذى أمرَ بإقامة الحواجزِ والسدودِ لتخزينِ كميَّاتِ المياه الهائلةِ فى المنطقةِ شديدةِ الانخفاضِ من أرضِ الإقليمِ ومَنْعِ جريانِهَا مرَّةً ثانيةً إلى النهرِ إلاَّ فى الوقتِ الذى يَشِحُّ فيه الفيضانُ، فاستطَعْنَا بذلك الاستفادةَ من هذه المياهِ فى ريٍّ كثيرٍ من أرضِ الدِّلْتَا، فى نفسِ الوقتِ الذى استطعنا فيه تخليصَ نحوِ عشرينَ ألفِ فَدَّانٍ من أسفلِ المياهِ، لتتحوَّلَ إلى حقولٍ خصبةٍ تزدهرُ بمنتجاتِهَا الزراعية.

فقلتُ له : ياله من عملٍ عظيمٍ رائعٍ! لقد ذكَّرنِى ما أراهُ اليومَ فى بلادِكُمْ بما سَبَقَ وأن رَأَيْتُهُ بالأمسِ يومَ أن كانت أعمالُ فراعنةِ الأسرةِ الرابعةِ تصعَدُ بمصرَ إلى موضعِ الريادةِ والتميُّز.

وقبلَ أن يُغْلِقَ نيلُ عَيْنيْهِ مُعْلنًا فَشَلَهُ التَّامَّ فى مقاومةِ النَّوْمِ، أسرعتُ أقولُ متسائلاً: ولكن هل استطاعَ أمنمحاتُ الأولُ وفراعنةُ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ من بَعْدِهِ قيادةَ البلادِ بنفسِ هذا الاقتدارِ وهذه المهارةِ التى كان يتمتَّعُ بها فراعنةُ الأسرةِ الرابعةِ يانيلُ؟

فقال : لقد تميَّزَ ملوكُ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ بالقدرةِ الفائقةِ على الإدارةِ وتسييرِ شئونِ البلادِ، هذه القدرةُ هى التي جعلَتْهَا تخرجُ من الفَوْضَى إلى النظامِ ومن الضعفِ إلى القوةِ والازدهارِ، فلم يكن الحالُ فى أولِ عهدِ هذه الأسرةِ كالحالِ الذى تولَّتْ فيه الأسرةُ الرابعةُ، لأن الأسرةَ الرابعةَ كانت قد وَرِثَتْ دولةً ثابتةَ الأركانِ تسيرُ على مَهَلٍ صَوْبَ التقدُّمِ بعكسِ أمنمحاتِ الأولِ وأسرَتِهِ الذين وَرِثُوا مُلْكًا قد زَعْزَعَتْهُ عهودٌ طويلةٌ من الاضطرابِ والفَوْضَى، فكان وصولُهُمْ بالبلادِ إلى ماهى عليه الآنَ من رقيٍّ وازدهارٍ عَمَلاً عظيمًا احتاجَ إلى الكثيرِ من الجهودِ المضنيةِ لتنظيمِ إداراتِ حكوماتِهَا وإعادةِ دقَّةِ ومهارةِ أعمالِهَا

حتى انتظمَ العملُ تمامًا فى كلِّ أرجاءِ مقاطعاتِ الدلتا والوادى ونهضَتْ فيها الصناعاتُ والفنونُ وأعمالُ الزراعةِ من جديدٍ، وعلى الرغمِ من عَدَمِ امتلاكِ فراعنةِ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ لما كان يمتلكُه فراعنةُ الأسرتَيْنِ الثالثةِ والرابعةِ من أراضٍ وأموالٍ فى جميعِ مقاطعاتِ مصرَ، إلاَّ إنهم بما استحدَثُوه من نظمِ الإدارةِ قد استطاعُوا توفيرَ الكثيرِ من الأموالِ ساعدَتْهُمْ على النهوضِ والتقدُّمِ.

فقلتُ له : حقّاً، إن بلادَكُمْ لم ترْتَقِ يومًا إلى كلِّ ما قد حقَّقَتْهُ من تقدُّمٍ وما قدَّمَتْهُ إلى أُمَمِ الأرضِ وشعوبِ العالَمِ من مدنيَّةٍ وتحضُّرٍ إلا بقدرةِ حُكَّامِها ومهارةِ أبنائِهَا.

ولكن تُرَى كيف ستطاعَ فراعنةُ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ القضاءَ على السلطةِ التى تمتَّعَ بها حُكَّامُ المقاطعاتِ طَوَالَ عهودِ الفَوْضَى والانقسامِ؟

وكان هذا هو آخرَ الأسئلةِ التى ألقَيْتُهَا على نيلٍ، لأنه كان قد راح يستسلِمُ تمامًا للغَرَقِ فى النومِ دونَ أن يقدِّمَ لى الإجابةَ، ولأننى لا أستطيعُ الجلوسَ دُونَ أن أفتِّشَ فيما حولى عن شىءٍ يستحقُّ المشاهدةَ أو أحدٍ يقدِّمُ لى الإجابةَ على بعضِ ما لدىَّ من تساؤلات؛ رُحْتُ أتجوَّلُ على ظهرِ السفينةِ النهريةِ التى كانت قد توقَّفَتْ على شاطىءِ إحدى المقاطعاتِ، ولم يَطُلْ بى التجوُّلُ فسرعانَ ما هَبَطْتُ إلى الشاطىءِ مسرعًا خلفَ هذا الفنَّانِ المصرىِّ، بعدما عَثَرْتُ على بعضِ نماذجِهِ وتماثيلِهِ الخشبيَّةِ الصغيرةِ، فأدركتُ أنه لابدَّ وقد هَبَطَ مُتَّجِهًا إلى حاكمِ مقاطعةِ أُونُو تاركًا ما عَثَرْتُ عليه دُونَ أن يلتفتَ إلى وُجُودِى.

وبينما كنتُ فى طريقى راكضًا خلفَ هذا الفنانِ المصرىِّ، وقعَ بصرِى على أحدِ الجنودِ واقفًا أمامَ إحدَى المقابرِ، فرأيتُ أن أُعْطِيَهُ ما أَحْمِلُهُ من التماثيلِ ليذهبَ بها إلى حاكمِ مقاطعَتِه، حتى أستطيعَ اللَّحَاقَ بالسفينةِ قبلَ أن تُعَاوِدَ إبحارَها إلى



طيـــبَةَ،ولكننى ماكدْتُ أصلُ إليه حـتى شـاهَدْتُ مـجـموعةً كبـيرةً من الرجـالِ قـد توقَّفُوا أمــامَه، حاملينَ الكثيرَ من الأقـــمـــشـــةِ الكتَانيَّةِ وأوانى الفَخَّارِ والخَزَفِ، فتوجَّهْتُ إليه متسائلاً: لماذا يُحْضِرُ رجـالُكُمْ كلَّ هذه الأشـيـاءِ إلى المقابرِ؟

فـأَخَذَ يُشيـرُ إلى إحْدَى الحُجُرَاتِ الملاصقةِ للمقبرةِ من خَلْفِهِ قائلاً : إننا نُعِدُّ هذه الحجرةَ لكى تَتِمَّ بها عمليات تحنيطِ جسدِ حاكمِ المقاطعةِ، لذلك نَجْلُبُ إليها كلَّ ماتَرَاهُ أمامَكَ.

فقلتُ له : وهل يمتَلِكُ حاكمُ المقاطعةِ ما يجعَلُهُ يجهِّزُ حجرةً لتحنيطِ جسدهِ بكلِّ هذه الأشياءِ؟

فقال : بالطَّبْعِ، لقد وَرِثَ عن آبَائِهِ الكثيرَ من الثَّرَوَاتِ التى كانُوا يتمتَّعُونَ بامتلاكِهَا فى وقتِ انفرادِهِمْ بحكمِ المقاطعةِ والسيطرةِ عليها قبلَ أن تتحقَّقَ لمصرَ الوحدةُ ويستطيعُ فراعنةُ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ واحداً من بعدِ آخرَ القضاءَ على الكثيرِ من مظاهرِ سيطرةِ حُكَّامِ المقاطعاتِ ونفوذِهِمْ، ومع أنهم قد فَقَدُوا الكثيرَ من سيطرتِهِمْ لصالحِ اتحادِ البلادِ، إلا أنه لايزالُ لديهم الكثيرُ من ذلك الثراءِ الذى كان يتمتَّعُ به آبَاؤُهُم فى الماضى.

فقلتُ له : ولكن إذا كان حُكَّامُ المقاطعاتِ قد استطاعُوا أن يشيِّدُوا لأنفسِهِمْ مثلَ هذه المقابرِ، فكيف شيَّدَ فراعنةُ البلاد مقابِرَهُمْ وأَبْنِيَتَهُمْ؟

فقال : لقد أظهر فراعنةُ الأسرةِ الثانيةَ عشرةَ نشاطًا معماريًا عظيمًا

يتناسب مع ماتمتعُوا به من قدرةٍ ومهارةٍ، فانتشرت معابدُهُمْ وأبنيتُهُمْ في طولِ البلادِ وعرضِهَا، من معابدَ ومنشآتِ أمنمحاتِ الأولِ في طيبَةَ ومَنْفَ، وسنوسرتِ الأولِ في عَيْنِ شَمْسٍ، إلى ذلك المعبدِ العظيمِ الذى بدأ أمنمحاتُ الثالثُ في تشييدِهِ جنوبَ شرقيْ الفيُّومِ، ولكنَّهم على الرغمِ من ذلك كلِّه لم يشيِّدُوا لأنفسِهِمْ أهراماتٍ رائعةً كتلك التى شيَّدَهَا فراعنةُ الأسرةِ الرابعةِ، بل اكتَفَوْا بإقامةِ أهراماتٍ متواضعةٍ بُنِيَتْ من اللَّبِنِ المغَطَّى بطبقةٍ من الأحجارِ الجيريَّةِ البيضاءِ حولَ عاصمتِهِمْ إثْ تَاوِى.

وبينما كان هذا الجندىُّ يشرحُ لى كيفيَّةَ بناءِ هذه الأهراماتِ، تنبَّهْتُ إلى أمرِ مَا أحملُهُ من تماثيلَ، وما ينتظرُنى على شاطئِ المقاطعةِ من متابعةِ رحلتى إلى طيبَةَ، فأسرعتُ باللَّحاقِ بالسفينةِ التى كانت تستعدُّ لمعاودةِ الإبحارِ، بعدما أعطيتُ التماثيلَ إلى ذلك الجندىِّ لكى يذهبَ بها إلى حاكمِ مقاطعَتِهِ.

وعلى سطحِ السفينةِ المُبْحِرَةِ من



إحدى الحجرات بمقبرة أحد الأمراء بمنطقة الأهرامات



جـديدٍ جلستُ ألتـقِطُ الأنفـاسَ مُغْلِقًا عَيْنَيَّ، استرجعُ كلَّ ماسمعتُهُ من أخبارِ مصـرَ فى عصرِهَا الذهبىِّ، وأفكِّرُ فى زياراتى القـادمـةِ إلى مـعـالِمِ ومنشـآتِ ذلك العـصـرِ، فـإذا بى أسـتـمِعُ إلى الضـجيجِ وقد ملأ السفينةَ من حولى، فنهضتُ واقفًا أسـألُ عمَّا جرى، حتى عَلِمْتُ أن ذلك الفنانَ المصرىَّ قد فـقـدَ الكثيرَ مِنْ تماثِيلِهِ التى كان ينقلُها من أمـامِنَا إلى الجـهـةِ الأخـرى من سطحِ السفينةِ استعدادًا لهبُوطِهِ فى المقاطعةِ القادمة!





أسمى «تاريخ»، وجدت منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، معه عشت خطواته الأولى، وبين تجمعاته سعيت متنقلا من بلد إلى آخر، وطنى حيث يجد الإنسان فى العمل والإبتكار، لأراقب مسيرة أعماله، أحصى أخباره، وأدون إنجازاته يوما من بعد آخر وعاما تلو عام، تعددت زيارتى إلى كل أقطار العالم فكان لبلادكم نصيب وافر من هذه الزيارات، فيها شاهدت قيام أول حضارات الإنسان على أرضه، ولها سجلت الكثير من صفحات البطولات، وسجلات الإنجازات والرقى، واليوم وبعد كل هذه الأعوام الطوال أجلس بينكم لأحدثكم حديث مصر عبر الزمان نسترجع سويا أحداث رحلاتى إلى أرض النهر والأهرامات والحضارة.



المكتب العربى للمعارف

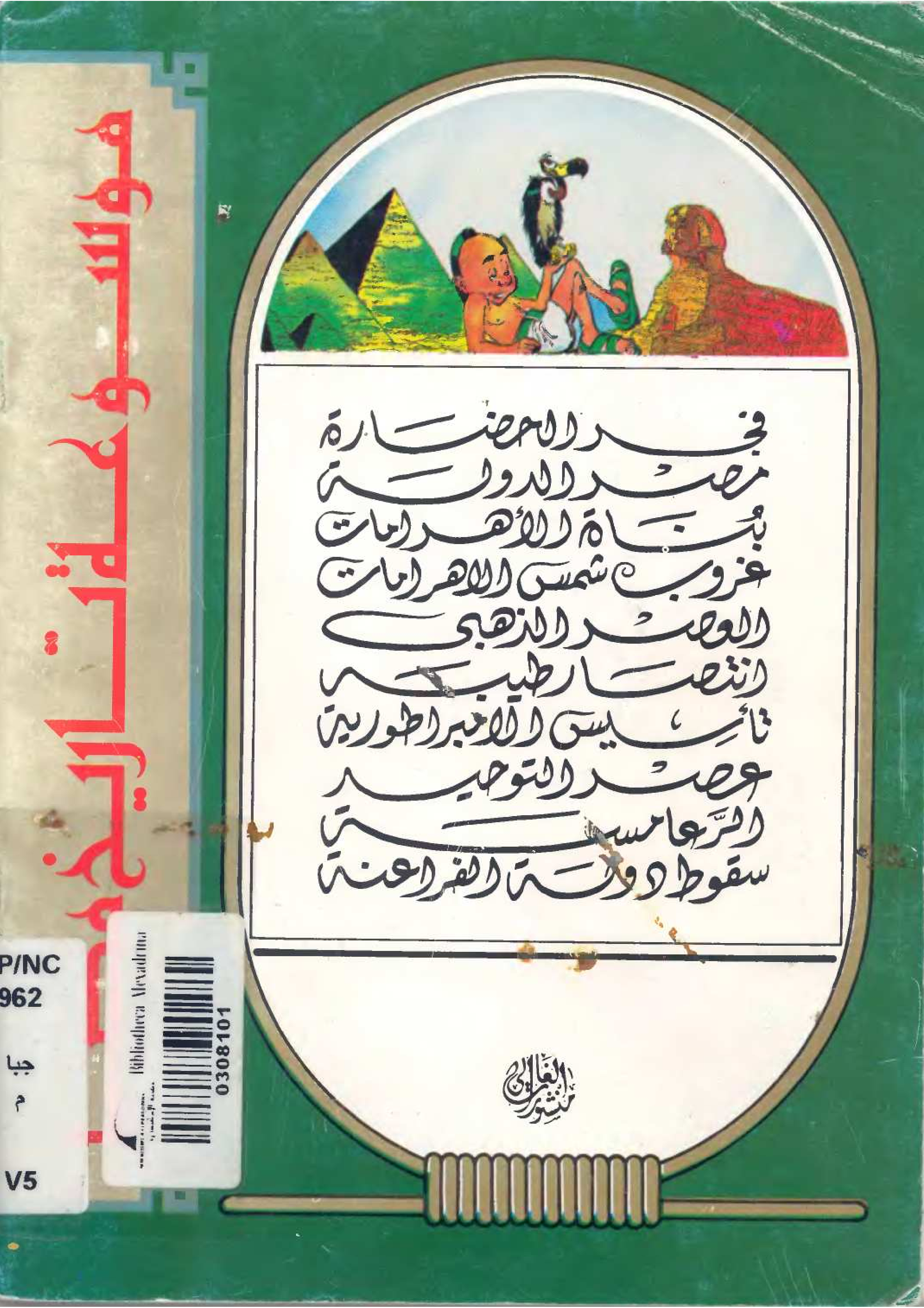
١٠ شارع الفريق محمد رشاد - خلف عمر أفندى

ميدان الحجاز - مصر الجديدة - القاهرة

ت: ٢٤٢١٥٢٦






فجر الحضارة
مصر الدولة
بناة الأهرامات
غروب شمس الأهرامات
العصر الذهبي
انتصار طيبة
تأسيس الإمبراطورية
عصر التوحيد
الرعامسة
سقوط دولة الفراعنة
منشورات الغالي
P/NC
962
جبا
م
V5
Bibliotheca Alexandrina
03308101